التربية العسكرية فى الإسلام

• إذا ذكر موضوع التربية العسكرية ، اتجه فكر الكثيرين إلى القوات المسلحة ظنا منهم أن أمور الطاعة والانضباط والنظام وتحمل المشاق والشجاعة أمور خاصة بالقوات المسلحة وحدها وتتطلبها طبيعتها .

• لكن هذا الظن بعيد عن الصواب ، فالتربية العسكرية فى نظر الإسلام «أمر عام» يتعلق بالإنسان المسلم فى أى مجال من مجالات العمل سواء فى الحياة فى المدنية أو الحياة العسكرية ، وهذا مبدأ ينفرد به الإسلام ، فالإسلام لا ينتظر حتى يشب الفتى ويكبر ويدخل الجيش ، فيبدأ بغرس هذه القيم فيه ، بل إن الإسلام يبدأ فى ذلك منذ وقت مبكر جدًّا ، وهو مرحلة التنشئة وبناء الشخصية .

• ولعل إهمال هذا المبدأ هو مصدر ما نلمسه من شكوى الناس من ضعف الانضباط وسوء النظام فى بعض مجالات العمل المدنى إلى الحد الذى نجد معه من الناس من ينادى بأن تتولى القوات المسلحة بعض المهام المدنية على أساس أن ما تتمتع به من نظام وانضباط فى عملها يمكنها من إنجازها بسرعة وكفاءة .

• ويحاول المصلحون تنمية وعى الانضباط والطاعة والنظام فى المجتمع ، فلا يحرزون نتائج مرضية ، وسبب ذلك أنهم تأخروا فى دعوتهم

فبدءوا بها بعد فوات الأوان المناسب والذى يحقق التربية العسكرية للمسلم منذ نعومة أظفاره كما يدعو الإسلام .

* إن الإنسان إذا دخل مرحلة الشباب (بعد سن العشرين) دون أن تتم تربيته خلال مرحلتى الطفولة والمراهقة ، فقد فات الأوان ، ويصبح المطلوب حينئذ هو «العلاج» وليس التربية ، وفى ذلك يقول فضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى : «هناك مشكلة تتمثل فى أننا نقول «تربية الشباب» بينما يجب أن نقول «علاج الشباب» ، لأن هناك فارقا بين التربية التى تقى من الآفات ، والعلاج الذى يواجه الآفات ، فإذا كان الشباب فيه آفات ، فاعلم أن مرحلة من مراحل حياته قد مرت دون أن يربى» .

* وها هو ذا أحد القادة العسكريين المشهورين وهو الجنرال مارشال الأمريكى يقول فى كتابه . (الجنود فى مواجهة النيران) : «إذا رغبنا فى الحصول على الجندى الصالح للقتال فيجب أن تتجه أنظارنا إلى مهد الطفل عندما تنشئه أمه ليكون رجلاً ، وإلى المدرسة حيث يتعلم كيف يضحى بمصالحه الشخصية من أجل الوطن ، وفى أروقة الحكومة حيث ينبثق فى قلوب الشعب وعى صادق عن الواجب» .

فهذه شهادة قائد واسع الخبرة بشئون الحرب والقتال أدرك ما لمرحلة التنشئة وبناء الشخصية من أثر كبير فى تشكيل سلوك الأفراد فى القتال ، فوصل إلى ما يقترب به من المبدأ الذى قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا .

• فالمسلم الذى يتربى على منهج الإسلام فى التربية وبناء الشخصية ، ينشأ منذ صغره على قيم الطاعة والانضباط والنظام وتحمل المسئولية ووعى الأمن وغيرها من محتويات التربية العسكرية ، ومثل هذه الشخصية تدخل الحياة بكل أنشطتها المدنية والعسكرية ، وهى تحمل فى وجدانها تلك السجايا ، فنستطيع أن نلمسها بوضوح فى سلوك العامل والصانع والمعلم والموظف والجندى والقائد وغيرهم فى كل مجالات الحياة .

منهج الإسلام :

• والحق أن الإسلام يقرر للتربية العسكرية خير المناهج على الإطلاق ، ويكفى أن نقارن حال العرب قبل الإسلام بحالهم بعد الإسلام ، ثم نبحث عن سر ذلك التحول العظيم ، الذى حدث للعرب بعد الإسلام فحققوا فتوحات إمتدت فى أقل من مائة عام من سيبريا شمالاً إلى المحيط الهندى جنوبًا ، ومن الصين شرقًا إلى شاطىء الأطلسى غربًا ، وليس ذلك فحسب بل أقاموا حضارة أضاءت الطريق للبشرية فى كل مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية .

• إن الإسلام عقيدةً وعملاً ، قد أوجد فى قلب العرب التربة الصالحة ، وخلق الاستعداد النفسى للغرس والتربية ، حتى أصبح العربى ليس فقط مضربًا للأمثال فى البطولة والفداء فى الحرب ، بل رائدًا فى كل مجالات الحضارة . وسوف نستعرض باختصار ما يتسع له المقام من عناصر التربية العسكرية فى الإسلام :

١ – العلم أساس القوة والرقى :

• ولقد اهتم الإسلام بالعلم اهتمامًا بالغًا ، ولا أدل على ذلك من أن أول آية من القرآن الكريم نزلت على قلب المصطفى ﷺ تتضمن «القراءة» التى هى مفتاح العلم ، و«القلم» الذى هو آلة العلم والمعرفة والتاريخ والحضارة ، وأن الله هو الذى علم الإنسان كل شىء : ﴿اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ . اقْرَأْ وربُّك الأكرمُ . الَّذى علَّمَ بالقَلم . علَّمَ الإنسانَ ما لم يَعْلَمْ﴾

[العلق : ١ – ٥]

وقال تعالى : ﴿وقُلْ ربِّ زِدْنى عِلْمًا﴾

[طه: ١١٤]

٢ – الحرية والكرامة الإنسانية :

• وقرر الإسلام الحرية والكرامة الإنسانية ومقاومة العبودية لغير الله تعالى فى كل ميدان من الميادين ، فقرر مبدأ الحرية فى النفس والمال والعرض ، فنفس الإنسان فى الإسلام معصومة ، لا يجوز الاعتداء عليها أو النيل منها ، وكذلك مال الإنسان معصوم ، لا يؤخذ منه شىء إلا بحقه ، وكذلك عرض الإنسان لا يهان ولا يخدش والحديث يقول : «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» (رواه ابن ماجة وأبو داود) .

• وقرر الإسلام مبدأ الحرية فى العبادة والاتصال بالله فليست هناك وساطة بين الله وعباده ، ولا يتوقف اتصال الله تعالى بعبد من عباده على

وساطة أحد بل إن الله سميع بصير ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويعلم السر والنجوى ، وبابه الكريم مفتوح لكل لاجيء ولكل طالب ، يقول الله تعالى :﴿وإذَا سألكَ عِبادِى عَنّى فإنّى قَرِيبٌ أُجيبُ دعوةَ الدَّاعِ إذَا دَعَانِ فَلْيستجيبُوا لى ولْيُؤْمِنُوا بى لَعلَّهمْ يَرشُدونَ﴾

[البقرة : ١٨٦]

• وقرر الإسلام أيضًا التحرر من أسباب الخوف ، فالذين اتصلوا بربهم وراقبوه وأخلصوا له العبادة والطاعة لا ينالهم هم ولا حزن ، يقول الله تعالى : ﴿فَمَنْ تبع هُدَاىَ فلا خوفٌ عليهمْ ولا هُمْ يَحزنُونَ﴾

[البقرة : ٣٨]

﴿ألاَ إنَّ أوْليَاءَ اللَّهِ لا خوفٌ عليهِمْ ولا هُمْ يحزنُونَ ، الَّذينَ آمَنُوا وكانوا يتقوُنَ ، لهمُ البشْرَى فى الْحياةِ الدُّنيا وفى الآخِرةِ لاَ تبديلَ لِكلماتِ اللَّهِ ذلكَ هو الفوزُ العَظيمُ﴾

[يونس : ٦٢ – ٦٤]

وبذلك يكون الإسلام قد كرم الإنسان ، وكرم رأسه وجعله ذا نفس عالية ، ولا يذل إلا لخالقه مالك الملك ولا يخشى إلا إياه.

٣ – تربية النفس :

• وقد أراد الله من المؤمنين أن يحققوا فى أنفسهم ما يجعلهم أهلا لمواجهة أقسى التحديات ، وللغلبة على أعدائهم من التربية العسكرية

والإقدام على التضحية وإتقان الجهاد والثبات فى مواطن البأس ، والتمسك بمبادىء الفروسية الإسلامية التى لا يذل صاحبها ولا يخزى ، وهو فى الوقت نفسه لا يضل ولا يطغى ، قال تعالى : ﴿يَأيُها النبى حَرِّضِ المؤمنينَ على القتَالِ إن يكُن مّنكُمْ عشرونَ صابرونَ يَغلبُوا مائتينِ وإن يكُن مّنكُمْ مّائةٌ يَغْلبُوا ألفًا من الذين كَفروا بأنَّهم قومٌ لا يفقهُونَ﴾

[الأنفال : ٦٥]

• كذلك حث الإسلام على «جهاد النفس» للنزعات والنقائص المعوقة كالغرور وحب الظهور وكل ما يفسد القلب ويُعل النفس من أمراض كالطمع والحقد والحسد والبغض ، ولذا نبه الرسول القائد ﷺ - عقب رجوعه من بعض الغزوات - على أهمية هذا السلاح فى الانتصار والفتك بالأعداء واجتلاب مدد السماء ، ففى حديث جابر عن الخطيب أنه ﷺ قال بعد رجوعه من غزوة غزاها : «قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر : مجاهدة العبد هواه» . وفى حديث أبى ذر عن ابن النجار : «أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك فى ذات الله عز وجل» .

• حقا جهاد النفس هو الجهاد الأكبر وهو السبيل إلى النصر ، جهاد النفس للأمراض الخلقية والاجتماعية ولوساوس الشيطان وللشهوات والمغريات والكسل والفتور والضعف والعقبات ، كل هذا من وسائل النصر ودواعى التغلب ، وعوامل النجاح فى «أى ميدان من الميادين».

٤ – الانضباط الذاتى :

• وعنى الإسلام بتكوين الضمير الدينى للمسلم بحيث يندفع إلى أداء واجبه على أكمل وجه معتمدًا على قوة ذاتية داخل نفسه ، لا على قوة أو سلطة خارجية وهذا هو أرقى مراتب الانضباط ، وهو «الانضباط الذاتى» وفى هذا يقول نابليون بونا بارت : «إن المجتمع الذى لا يعتمد على قوة ذاتية ، ويتوقف العمل الجماعى فيه على قوة السلطة وعلى دقة المراقبة ، لا شك فى أنه يعتبر عبئًا على المجتمع ومضيعة لقواه» .

• لذلك فالضمير الدينى للمسلم هو الذى يمنحه القدرة على حسن السلوك والجدية فى التفكير والعمل على الابتكار ، والتصرف فى مواجهة المواقف ، والضمير الدينى هو الذى يدفع المسلم إلى أن يرعى الله فى عمله لأنه هو الرقيب المطلع ، ويصوره لنا الرسول الكريم ﷺ فى العبادة بقوله : «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (رواه البخارى)

• ومن عجيب صنع القرآن فى تربية هذا الوازع الدينى الخلقى أنه لم يجعل نتيجة الخوف أمرًا سلبيًّا ، وهو النجاة من العقوبة وعدم التعرض للعذاب ، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة ، جزاءً إيجابيًّا وثمرة أخرى فوق الخلاص من العقاب وهى الثواب الجزيل والأجر العظيم ، استمع إلى قول الله تعالى : ﴿وأَمَّا مَنْ خاف مَقَام ربِّه ونهى النَّفسَ عَنِ الْهوى ، فإنَّ الجنَّةَ هى المأْوَى﴾

[النازعات : ٤٠ – ٤١]

وقوله : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾

[الرحمن : ٤٦]

٥ – القيادة :

من الطبيعى أنه حيثما وجد العمل الاجتماعى الذى يحتاج إلى التدبير ، ظهرت الحاجة إلى الرئاسة ، وقد أوصى بها الرسول ﷺ بقوله : «إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا عليهم أحدهم» (رواه أبو داود)

ومقياس الرئاسة عنده شرطان هما جماع الشروط فى كل رئاسة :

الكفاءة ، والحب ، فقال : «أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن فى العشرة أفضل ممن استعمل ، فقد غش الله وغش رسوله ، وغش جماعة المسلمين» (رواه أبو يعلى عن حذيفة)

• فالرسول ﷺ بذلك يؤكد على مبدأ اختيار القائد على أساس الكفاءة ووضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، وقال أيضاً : «وأيما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه» (رواه الطبرانى) .

وهو هنا يبين معنى الحب أى حب المرءوسين لقائدهم الذى تبلغ أهميته كشرط فى اختيار القائد إلى حد سقوط الصلاة عن الإمام الذى يكرهه الناس .

• ودعا الإسلام إلى احترام القائد فقال تعالى : ﴿لا تَجعلُوا دُعَاءَ الرسُولِ بينكُمْ كدعَاءِ بعضِكمْ بَعْضًا﴾

[النور : ٦٣]

وقال أيضًا : ﴿يأيُّها الَّذينَ آمنُوا لاَ تَرفعُوا أصْواتكُمْ فوقَ صوتِ النَّبيِّ ولاَ تَجهروا لهُ بِالقَولِ كَجَهْرِ بعضِكُمْ لبعضٍ أن تحبَطَ أعْمالكُمْ وأنتم لا تَشعرونَ﴾

[الحجرات : ٢].

وبذلك حتم على المسلمين احترام القائد وعدم تسميته كتسمية الأفراد بعضهم بعضا . فما يصح أن يقال له : يا محمد ، وكان نداؤهم له : يا رسول الله .

٦ – الطاعة :

• ويأمر الإسلام بالطاعة ويوضح فلسفتها ومغزاها الاجتماعى ، فهى ليست «خضوعًا للسلطة» ، بل هى ضرورة اجتماعية لصالح الجماعة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالقيادة التى هى الأخرى «ضرورة اجتماعية» لصالح الجماعة ، فالله تعالى يقول : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرسُولَ وأُولى الأَمْرِ منكُمْ﴾

[النساء : ٥٩]

وأولو الأمر هم الذين ائتمنهم الله على من هم فى رعايتهم ممن هم دونهم فى الرتبة ، ويقول جل شأنه : ﴿ومَن يُطِعِ اللَّهَ والرسُولَ فأُولَئكَ معَ الَّذينَ أنعمَ اللَّهُ عليهم مِن النَّبِيينَ والصّدّيقِينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ وحسُنَ أُولئك رفيقًا﴾

[النساء : ٦٩]

ويقول الرسول ﷺ : «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة» (رواه البخارى عن أنس) .

• لكن الطاعة التى يريدها الإسلام ليست عمياء ، بل هى الطاعة الواعية البصيرة : «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، إنما الطاعة فى المعروف» (متفق عليه عن على رضى الله عنه) .

• وقد حرص الإسلام على تحقيق جانبى الطاعة فى شخصية المسلم ، فكما دعا إلى الطاعة الواعية التى يستخدم فيها الإنسان عقله وتفكيره ، فقد دعم ذلك عمليا فى العبادات :

١ – **فالصلاة** : تجسيد حى للطاعة والنظام فى أجلى صورهما ، ففيها يتعلم المسلمون تسوية الصفوف حيث جعلت من تمام الصلاة ، فعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «سووا صفوفكم فإن تسوية الصف من إقامة الصلاة» (رواه الشيخان) ، وخلف الإمام يتحرك المصلون بتعاليمه ولا يستطيع واحد منهم التصرف من تلقاء نفسه ، وإلا بطلت صلاته .

٢ – **والصوم** : صبر على الجوع والعطش وضبط للنفس عن متطلباتها ، وتنفيذ للأوامر الصادرة من الله سبحانه وتعالى لتصحيح البدن وترقية الوجدان وشفافية النفس وتقوى الله .

٣ – **والزكاة** : طاعة لله بإخراج الجزء الواجب إخراجه بلا رقابة من أحد وبالقدر المحدد .

٤ – **والحج عمليًا** : طاعة ونظام ، مع تحمل المشاق والتزام دقيق

لأداء المناسك فى وقت ومكان محددين ، ففى مكان واحد هو جبل عرفات يقف المسلمون جميعًا دون مخالفة ، وبدونه لا يكون حجا ، والجميع فى وقت واحد وزى واحد وتلبية واحدة هى هتاف واحد إلهى رائع : «لبيك اللهم لبيك».

٧ – التعاون ووحدة الصف والهدف :

• التعاون أساس العمل المتكامل ، وعلى قدر تعاون الأفراد يكون رقى الأمم ونهضتها وتكون أيضًا قوة جيشها ، ولقد حث القرآن الكريم على التعاون : ﴿وتعاونُوا على البِرِّ والتقوى ولا تعاوَنُوا على الإثْمِ والعُدوانِ﴾ [المائدة : ٢]

• وحذر أيضًا من التنازع لأنه يبعد ما بين النفوس ، ويذهب بروح التناصر فيكون أبعد أثرًا وأشد تنكيلاً بالأمة وبالجيش مما يفعله العدو ، قال تعالى : ﴿وَلاَ تَنازعُوا فتفشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحكُمْ واصْبِروا إنَّ الله مع الصَّابرينَ﴾ [الأنفال : ٤٦]

• وحرص الإسلام الحرص كله على أن يحرر الأمة من أغلال العبودية والضعف ، ومن ضلال التمزق والتفرق ، فقال الرسول ﷺ : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم» (رواه ابن ماجة) وفى هذا النص النبوى الكريم تصوير للمساواة الفاضلة بين أبناء الأمة الواحدة ، وإشعار لهم بأنهم

متكافلون متكاملون ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ ويقول الرسول ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» (رواه البخارى) .. وفيه أيضًا تصوير لتضامن هذه الأمة ، فكل فرد فيها صالح بإيمانه وإخلاصه لأداء الواجب ، وحفظ الأمانة ، ومقياس التقديم والتفضيل هو التقوى والعمل الصالح لقول الله تعالى : ﴿يَاأَيُّها النَّاسُ إنَّا خَلقناكُم من ذكَرٍ وأنثى وجَعلناكُمْ شُعوبًا وقبائِلَ لتعارفُوا إنَّ أكرمَكُمْ عند الله أتقاكُمْ إنَّ الله عليمٌ خبيرٌ﴾

[الحجرات : ١٣]

• وفى الحديث أيضًا تصوير لتكتل الأمة المؤمنة ضد أعدائها ووجوب تجميعها لصيانة مقدساتها وحرماتها وحماية ديارها وذمارها ، فهى تأتلف بكل وحداتها وطاقاتها لدرء أى خطر يهددها أو يهدد جانبًا منها ، لأنها فى وحدتها كالبناء الواحد ، إذا أصيب منه ركن اختلت بقية الأركان ، ومن هنا قال الرسول ﷺ يصور الأمة فى تضامنها وتعاونها : «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» (رواه مسلم وأحمد) .

ثم تتمثل الوحدة والتضامن والتعاون والتماسك فى أرفع صورها فى قوله الله تعالى : ﴿إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذينَ يُقَاتلونَ فى سَبِيلهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيانٌ مَرصُوصٌ﴾

[الصف : ٤]

٨ – تقدير المسئولية والإخلاص فى العمل :

• وعنى الإسلام بتربية المسلم على تقدير المسئولية والإخلاص فى العمل ، وقد جاء العمل الصالح فى القرآن الكريم مقروناً بالإيمان حتى تتكرر فيه عبارة ﴿الَّذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات﴾ عشرات المرات ، مما يوحى فى قوة ووضوح بأن الإنسان لا يكفيه أن يعرف أو يضع فكرة فى رأسه ، بل يجب عليه أن يعمل بما تقتضيه هذه الفكرة فى جد وإقدام ، وقدرة الله وتوفيقه معه بقدر يقينه وإخلاصه .

• ويقول النبى ﷺ : «ليس الإيمان بالتحلى أو بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل» (رواه أبو نعيم والديلمى) أى ليس الإيمان بالكلام الحلو الذى تظهره بلسانك فقط أو بتمنى حصول الأمر المرغوب فيه ، ولكن يجب أن تكون هناك معرفة القلب العميقة لهذا القول وتصديقه بالعمل الطيب الصالح ، وإلا اتسعت مسافة الخلف بين المعرفة والتصرف ، وبين القول والعمل ، فيحق وعيد الله : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاَ تَفْعلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عند اللَّهِ أن تقولُوا ما لاَ تفعلُونَ﴾

[الصف : ٢ – ٣]

• وفى الحديث الشريف : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» (رواه الخمسة) تجسيد لمسئولية الإنسان عن عمله ورعاية من هم تحت رعايته ، ويدعو الرسول ﷺ إلى الصدق والإخلاص فى العمل حين يقول : «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (رواه أبو يعلى) ، وامتدح

الله الصادقين والأوفياء فى قوله : ﴿مِنَ المؤمنينَ رِجالٌ صدَقُوا ما عَاهَدُوا اللَّه عَليهِ ..﴾

[الأحزاب : ٢٣]

وقوله : ﴿وأوفُوا بالعهدِ إنَّ العهدَ كان مَسْئُولاً﴾

[الإسراء : ٣٤]

وقوله : ﴿ومَنْ أَوْفَى بما عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فسيُؤتيه أَجْرًا عظيمًا﴾

[الفتح : ١٠]

• ويدعو ﷺ إلى أن يكون العمل خالصًا لوجه الله وابتغاء لمرضاته ، وليس ابتغاء ثناء الناس فيقول : «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتغى به وجهه» (رواه النسائى والطبرانى).

٩ – التربية البدنية والرياضية :

• وحث الإسلام على تعلم السباحة والرماية وركوب الخيل مسرجة ومعراة ، والسباق فى الجرى ، والسباق بين الفرسان على الخيل أو الإبل ، والمصارعة ورفع الأثقال إلى غير ذلك من ألوان التربية البدنية والرياضية التى تبنى الجسم السليم .

• ويمدح الإسلام المؤمن القوى ويعتبره أفضل عند الله من المؤمن الضعيف فيقول الرسول ﷺ : «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من

المؤمن الضعيف» (رواه مسلم) ويقول فى حديث آخر : «إن لبدنك عليك حقًا» (رواه البخارى) .

١٠ - التدريب على الرماية وأساليب القتال :

• وحث الإسلام على التدريب على استخدام أسلحة الرمى وأساليب القتال ، وإتقانه والمداومة عليه ، وهذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾

[الأنفال : ٦٠]

• ومن ذلك قوله ﷺ : «ألا إن القوة الرمى» وكررها ثلاثًا (رواه مسلم) .. «إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به ، والممد به ، فارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا» (رواه الخمسة) ... «كل ما يلهو به المرء المسلم باطل إلا رميه بقوسه وتأديب فرسه ، وملاعبة أهله» (رواه الخمسة) .

• وكان عليه الصلاة والسلام يشارك أصحابه فى التدريب تشجيعًا لهم ، فقد خرج عليه الصلاة والسلام مع نفر من أسلم ينتضلون بالسوق (أى يتسابقون فى الرمى) فقال : «ارموا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان راميًا ، ارموا وأنا مع بنى فلان» .. فأمسك أحد الفريقين ، فقال : ما لكم لا ترمون ؟ فقالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال : «ارموا وأنا معكم

جميعًا» (رواه البخارى وغيره عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه) (والمراد بالمعية : معية القصد إلى الخير) .

ومر عليه الصلاة والسلام بموضع كان الصحابة يتدربون فيه على الرمى ، فنزع نعليه ثم قال : «روض من رياض الجنة» . يقصد أن العمل الذى يعمل فى هذا الموضع وهو التدريب يوجب روضة من رياض الجنة .

• وحث عليه الصلاة والسلام المسلمين على التدريب على ركوب الخيل وعلى فنون الحرب بها فقال : «الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والغنيمة» (متفق عليه عن ابن عمر رضى الله عنهما) . كما رغب فى اقتناء الخيل والعناية بها ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ : «من احتبس فرسًا فى سبيل الله إيمانا بالله وتصديقًا بوعده ، فإن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة» (رواه البخارى) .

• وحذر الرسول ﷺ من الانقطاع عن التدريب وعدَّه من المعاصى فقال : «من تعلم القرآن ونسيه فليس منا ، ومن تعلم الرمى ونسيه فليس منا» (رواه أحمد ومسلم) وقال أيضا : «من ترك الرمى بعدما علمه فإنما هى نعمة جحدها» (رواه أبو داود) وقال «من علم الرمى ثم تركه فليس منا أو فقد عصى» (رواه أحمد ومسلم) ، وقد كان من أثر ذلك أن بعض المسلمين كان يتدرب حتى فى يوم العيد.

١١ – الحذر ودرجة الاستعداد العالية :

• وعنى الإسلام أشد العناية باتخاذ الحيطة والحذر والتأهب والاستعداد لحرمان العدو من المفاجأة ، فقال تعالى : ﴿يَاأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾

[النساء : ٧١]

ولعل أبلغ ما يؤكد ذلك ما ورد فى القرآن الكريم بشأن الصلاة فى الحرب ، فقد أمر الله تعالى بأدائها في وقتها ولكنها تكون ركعتين بدلا من أربع ، وأمر بأن تصلى طائفة مع الرسول ﷺ بينما تكون الطائفة الأخرى فى موقف الحراسة ، حتى إذا فرغت الطائفة الأولى اتخذ كل من الفريقين حالة الآخر ، قال تعالى : ﴿وإذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأقمتَ لهمْ الصَّلاةَ فلْتقُمْ طَآئِفةٌ منهُم مَّعكَ وليَأْخُذُوا أَسْلحتَهمْ فإذا سَجدُوا فلْيكونُوا من ورَآئِكُمْ ولْتأْتِ طَآئفةٌ أخرى لم يُصلُّوا فلْيصَلُّوا معك ولْيَأخذُوا حِذْرهُمْ وأسْلحَتَهُمْ وَدَّ الَّذين كَفرُوا لو تغفلُونَ عن أسْلحتكُمْ وأمْتعتكُمْ فيميلُون عليكُمْ مَيْلَةً واحدَةً﴾

[النساء : ١٠٢]

فهل هناك أدل على عناية الإسلام بالحذر والتأهب من أنه يأمر المسلمين به حتى فى الصلاة التى يؤدونها لله ، ويكونون فيها بين يديه ؟

• ثم تجسد الآية الكريمة عواقب الغفلة وترك الحذر والأضرار البالغة التى يتعرض لها المسلمون من جرائها : ﴿... فَيميلُونَ عليكُم مَيْلَةً واحِدَةً﴾

ويبين الرسول ﷺ فضل القائم بالحراسة فيقول : «عينان لا تمسهما النار يوم القيامة : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله» (رواه الترمذى) .

• ويقرر الرسول ﷺ المعيار الصحيح لدرجة الاستعداد لدى المجاهدين فى أنها «القدرة على العمل الفورى فى مواجهة المواقف المفاجئة» فيقول ﷺ : «خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة (أى صيحة خطر) طار إليها» (رواه مسلم وغيره) .

• ونستطيع أن ندرك هذا المعيار ودرجة إحكامه حين نلاحظ ما يلى :

١ – كلمة «ممسك» فى عبارة (رجل ممسك بعنان فرسه) تعنى درجة أعلى فى الاستعداد من مجرد ركوب الفرس أو الوقوف بجانبه ، فهى تفيد «استمرار» حالة الإمساك بعنان الفرس ، وذلك دليل على الاستعداد الكامل والمستمر للانطلاق بمجرد الإنذار ، فالفارس والحالة هذه إذا جاءته الإشارة بالانطلاق أو إذا رأى خطرًا ،لن يكون بحاجة إلى الإتيان بأى تصرف ولا حتى مد يديه إلى عنان فرسه ليمسك به لأنه ممسك به فعلاً ، أى أن كل ما سوف يفعله هو أن ينطلق على الفور .

٢ – كلمة «طار» فى عبارة (كلما سمع هيعة طار إليها) ذات مدلول يختلف كثيرًا عن كلمة اندفع أو تقدم أو أسرع ، وتعبر عن أسرع شكل من أشكال الحركة على الإطلاق ، فأنت إذا طلبت من إنسان أن يتحرك بأقصى سرعة فإنك تقول له : طر .

٣ – كلمة «خير الناس» فى بداية الحديث تنطوى على تكريم للمجاهد الذى يقف فى أعلى حالات اليقظة ، وهو تكريم يستحقه لقاء العناء والجهد البدنى والعصبى الذى يبذله لكى يكون على تلك الحال من التأهب والاستعداد ، هذا بالإضافة إلى الفضل الذى يرجع إليه فى إنذاره لأمته وتنبيهها إلى الخطر حتى لا تؤخذ على غِرَّةٍ .

وتنطوى تلك الكلمة أيضا على معنى تربوى عظيم هو تحريض المجاهدين جميعًا على أن يكونوا فى أعلى درجات الاستعداد للعمل الفورى لدفع الخطر عن أمتهم حتى يحظوا بوصف «خير الناس» .

١٢ – وعى الأمن

من الضرورات الحيوية لأمن الأمة وسلامتها ، الحفاظ على الأسرار وكتمان ما يستفيد منه العدو ، من أجل ذلك فإن الإسلام يعد الأسرار أمانة من الأمانات التى على المسلمين أن يحافظوا عليها فقال تعالى : ﴿يَاأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَخونُوا اللهَ والرسولَ وتَخُونُوا أَماناتكُمْ﴾

[الأنفال :٧]

وقال الرسول ﷺ : «إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة» (رواه أبو داود والترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه) وقال أيضًا : «إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ، ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره» (رواه ابن المبارك والحاكم وصححه) ، وقال : «ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له» (رواه أحمد) .

• وحذر ﷺ من المغامرة بالحديث أو التعجل بالقول وحث على ضرورة الحذر والتدبر قبل الكلام ، عن بلال بن الحارث المزنى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أحدكم ليتكلم الكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغته فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة ، وإن أحدكم ليتكلم الكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه» (رواه الترمذى وقال : حسن صحيح) ، كما قال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» (متفق عليه) وقال : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (رواه الترمذى) .

• كما نهى ﷺ عن إطلاق الكلام فى قوله : «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع» (رواه مسلم) وحث ﷺ على سرية الأعمال والخطط فى قوله : «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان» (أخرجه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان) .

• وقد عنى المسلمون بغرس وعى الأمن وكتمان الأسرار فى أبنائهم منذ الصغر ، قال أنس بن مالك : «أتى على رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا ، فبعثنى فى حاجة ، فأبطأت على أمى ، فلما جئت قالت : ما حبسك ؟ (أى أخرك) فقلت : بعثنى رسول الله ﷺ لحاجة ، قالت : ما حاجته ؟ قلت : إنها سر ، قالت : لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدًا» (رواه مسلم) .

• وقال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله : «إنى أرى هذا الرجل (يعنى عمر بن الخطاب) يقدمك على الأشياخ (يعنى كبار الصحابة) فاحفظ عنى خمسًا : لا تفشين له سرًّا ، ولا تغتابن عنده أحدًا ، ولا يجربن عليك كذبًا ، ولا تعصين له أمرًا ،ولا يطلعنّ منك على خيانة» (الإحياء جـ ٢ ص ١٥٨) .

١٣ – الثبات فى الميدان :

وحث الإسلام المسلمين على الثبات فى الميدان والإخلاص فى الحرب فقال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون﴾

[الأنفال : ٤٥]

ونهى الإسلام عن الفرار من الصفوف وعده من الكبائر قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ، ومَن يُوَلِّهِمْ يَومئذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتحرفًا لّقتالٍ أو مُتَحيزًا إلى فئةٍ فقدْ بَآءَ بغَضبٍ من الله ومَأْوَاه جَهَنَّمُ وبئسَ المصيرُ﴾

[الأنفال : ١٥ ، ١٦]

وحرص المسلمون على تربية أولادهم على الثبات والشجاعة ، ومن ذلك أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أعطى الراية لابنه محمد وقال له : «تزول الجبال ولا تزول ، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه».

١٤ – مقاومة الحرب النفسية :

• ووضع الإسلام خير المبادىء لمقاومة أساليب الحرب النفسية التى يهدف العدو من ورائها إلى تدمير الروح المعنوية وإرادة القتال للمسلمين شعبًا وجيشًا وإضعاف روح العمل والجهاد وقتل الإيجابية لديهم ، فيقرر أن العقيدة الراسخة المؤسسة على الإيمان الذى لا يتزعزع هى الركيزة العظمى لتحصين المسلمين ضد الحرب النفسية بمختلف صورها وألوانها .

• إن المؤمن إيمانًا كاملاً لا يخاف الوعيد ولا يرهبه التهديد ، وليس جبانًا رعديدًا كأولئك الذين يقول فيهم الكتاب الكريم : ﴿فإذَا جَاء الخوفُ رأيتَهُمْ ينظُرونَ إليكَ تدورُ أعْيُنُهم كالَّذى يُغْشَى عليه مِنَ الموتِ﴾

[الأحزاب : ١٩]

بل إن المؤمن لا يزيده التهديد والوعيد وأساليب الحرب النفسية إلا إيمانًا وثباتًا واستعدادًا للبذل والتضحية كأولئك الذين قال فيهم جل شأنه : ﴿الَّذينَ قال لهُمُ النَّاسُ إنَّ الناسَ قد جمعُوا لكُمْ فاخْشَوهمْ فزَادهُمْ إيمانًا وقالُوا حَسْبُنَا اللهُ ونعمَ الوكيلُ﴾

[آل عمران : ١٧٣]

• ويتفق علماء النفس وخبراء الحرب النفسية على أن الحرب النفسية «تؤثر بفعالية أكثر على الجنود الخالية من العقائد الثابتة» ، لذلك كان الإيمان بالنسبة للمسلمين نورًا يهديهم ، وكان بالنسبة للإعداء صخرة

تتحطم عليها أساليبهم ومحاولاتهم للنيل من معنويات المسلمين ، فكان جوابهم : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيلُ﴾ ولذلك أعطاهم الله النعمة والفضل وصرف عنهم السوء ورضى عنهم :

﴿فانقلبُوا بِنعمةٍ من اللَّهِ وفضْلٍ لم يمسَسْهمْ سُوءٌ واتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ واللَّهُ ذو فضْلٍ عظيمٍ﴾

[آل عمران : ١٧٤]

• ولعل من أروع الأمثلة التى تذكر فى هذا المقام ما حدث بين قائد جيش الفرس وبين خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين وكان تفوق الأعداء ظاهرًا فى العدد والعدة ، فبعث قائدهم برسالة محاولاً بث روح اليأس فى نفوس المسلمين وزعزعة ثقتهم فى قدرتهم على التغلب على جيشه المتفوق تفوقًا ساحقًا ، وهنا تتجلى عظمة العقيدة الراسخة ، وأثرها العظيم فى مواجهة حرب التخذيل وتثبيط العزائم ، إذ بعث خالد برد يقول فيه : «لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة» .. وبهذا انتصر المسلمون .

١٥ – دور المرأة فى الدفاع عن أمتها :

• وتعلمت المرأة فى المدرسة الإسلامية أن لها دورًا فعالاً فى الدفاع عن أمتها سواء فى ميدان المعركة أو فى الجبهة الداخلية .

• ففى ميدان المعركة تقوم المرأة بخدمات الإعاشة والإمداد بالمياه والطعام وبالخدمة الطبية من إسعاف وتمريض وإخلاء للجرحى والشهداء ،

قالت الرُّبيع بنت معوذ رضى الله عنها : «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ، نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة» (رواه البخارى وأحمد) ، وقالت أم عطية الأنصارية رضى الله عنها : «غزوت مع النبى ﷺ سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى» (رواه مسلم وأحمد وابن ماجة) .

• وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أنه سئل عن جرح النبى ﷺ يوم أحد فقال : جرح وجه النبى ﷺ وكسرت رباعيته (من الأسنان) وهشمت البيضة على رأسه ، فكانت فاطمة عليها السلام تغسل الدم ، وعلىٌّ يمسك ، فلما رأت الدم لا يزيد إلا كثرة أخذت حصيرا فأحرقته حتى صار رمادا ثم ألزقته فاستمسك الدم» (رواه الشيخان) .

• ووصل دور المرأة فى المعركة إلى حد الاشتراك فى القتال ، فقد أخرج مسلم من حديث أنس أن أم سليم اتخذت خنجرًا يوم حنين وقالت للنبى ﷺ : «اتخذته إن دنا منى أحد المشركين بقرت بطنه» فهذا يدل على جواز القتال للمرأة وإن كان فيه ما يدل على أنها لا تقاتل إلا مدافعة ، وليس منها أنها تقصد العدو وتطلب قتاله .

• أما عن دور المرأة فى الجبهة الداخلية فكان دورًا إيجابيًّا باليقظة والحراسة لحماية القاعدة التى انطلق منها الجيش ، ففى غزوة الاحزاب رأت صفية بنت عبد المطلب يهوديًّا يطيف بالحصن فقالت لحسان ابن ثابت : إن هذا اليهودى يطيف بالحصن وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا اليهود ، ورسول الله وأصحابه قد شغلوا عنا فانزل إليه

فاقتله ، فأجابها حسان : يغفر الله لك يا إبنة عبد المطلب ، والله ما أنا بصاحب هذا ، فأخذت صفية عودًا ونزلت من الحصن وضربت به اليهودى حتى قتلته .

• ثم إن من أعظم أدوار المرأة المسلمة وقت الحرب ، ضربها القدوة والمثل لزوجها وأولادها فى الروح المعنوية وإرادة القتال المبنية على الإيمان والعقيدة الراسخة ، فتشجعهم على الخروج للقتال ، وعلى الاستبسال فيه ، وتصبر الصبر الجميل عند استشهادهم ، بل تفرح بهذا الشرف الذى حظيت به ، ومن أروع الأمثلة على ذلك ما قدمته الخنساء من مثل فريد حينما استشهد أولادها الأربعة فى المعركة ، ويجىء إليها نبأ استشهادهم فتقول : «الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته» .

١٦ – عقيدة الجهاد فى سبيل الله :

• عقيدة القتال – فى مفهوم العلم – تعتبر هى منبع الإرادة القتالية والشعلة التى تضىء قلب المقاتل بنور الإيمان بالقضية التى يقاتل من أجلها والتى تشكل فى نفسه قوة ذاتية تحركه إلى الفدائية فى القتال إلى درجة استرخاص النفس فى سبيل تلك القضية .

• ولقد جعل الله تعالى «الجهاد فى سبيل الله هو الوظيفة الشريفة التى كرم بها الأمة الإسلامية كما يفهم من قوله تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُو اجْتَبَاكُمْ﴾ (واجتباكم يعنى اختاركم)

[الحج : ٧٨]

• فالاختيار هنا تكريم وتشريف لهذهِ الأمة التى جعلها جل شأنه فى خير منزلة بين الأمم فى قوله : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ تأْمُرونَ بالْمعروفِ وتَنْهَونَ عن المنكَرِ وتُؤْمِنُونَ باللَّهِ﴾

[آل عمران : ١١٠]

وفى قوله سبحانه : ﴿وكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمةً وسَطًا لتكونوا شُهداءَ على النَّاسِ ويكُونَ الرسولُ عليكمْ شهيدًا﴾

[البقرة : ١٤٣]

ومعنى أمة وسطا أى خيارًا معتدلين (إن خير الأمور الوسط) ومعنى شهداء على الناس أى فى مقام عال (الشهيد فى اللغة هو الذى ينظر من عل) .

• وقد سبقت حكمة الله جل شأنه أن تكون الأمة الإسلامية أمة مجاهدة عزيزة الجانب ، ولم يرد لها أن تخضع ولا أن تجنح إلى الذلة ولا أن تستكين إلى هوان يومًا ما ، لهذا المعنى السامى الذى أراده الله سبحانه نرى القرآن الكريم حافلاً بآيات الجهاد ، ونرى سنة الرسول ﷺ ومسالك أصحابه جميعًا فى هذا الاتجاه ، ولابد هنا من التنويه بأن الإسلام بقدر عنايته بالجهاد ، عنى بأن تكون نفوس أهله رحيمة وألا يشطوا فى اتجاههم فالقصد إذن من الجهاد هو إعلاء كلمة الله وصيانة العزة للأمة الإسلامية ، ولعل هذا مما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ولله العزةُ ولرسولهِ وللمؤْمنينَ﴾

وليست عزة الإسلام المطلوبة عزة الجبروت ولا الطغيان أو ترويع الآمنين ، وإنما هى عزة العدالة والحق والرحمة والإنصاف .

ه وقد ربط الله سبحانه وتعالى الإيمان بالجهاد فى صورة متماسكة لا انفصام لها بحيث يزول الإيمان عند الفرار من الجهاد وعند النكوص عنه ، فإن عقد الإيمان الذى بين المؤمنين وبين الله جل شأنه . من أهم شروطه أن يبيع المؤمنون بمقتضى هذا العقد أنفسهم وأموالهم مجاهدين بذلك فى سبيل الله ، وثمن ذلك إنما هو الجنة ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشترى من المؤْمنينَ أنفُسَهُمْ وأمْوالَهُمْ بأنَّ لهمْ الجنةَ يُقاتلونَ فى سَبيلِ الله فيَقتُلُون ويُقتَلونَ وَعدًا عَليهِ حَقًا فى التوراة والإنجيلِ والقُرآنِ وَمَنْ أوْفَى بعَهْده مِنَ اللَّهِ فاستَبشِرُوا ببيعكُمُ الَّذى بايعْتُم بِه وذَلكَ هو الفوزُ العَظيمُ﴾

[التوبة: ١١١]

١٧ – الصبر فى الجهاد (التطعيم المعنوى) :

ه ويعلم الإسلام المجاهد ويربيه على قوة التحمل والصبر على مشاق القتال وأن يحتفظ بأعصابه وثباته ورباطة جأشه ولا يهتز أمام المفاجئات أو الصدمات ، قال تعالى : ﴿يَأيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصَابِروا ورَابِطُوا واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلكُمْ تُفلِحُونَ﴾

[آل عمران : ٢٠٠]

• فتلك هى عناصر القوة فى الجهاد ، وهى تتعلق بالمجاهد قبل أن تتعلق بمعدات القتال ، وهكذا تثبت المدرسة الإسلامية أن معدات القتال وحدها لا تشكل عنصر القوة فى الجهاد ، بل لابد من قلب مؤمن وعزيمة صادقة وصبر قوى ورغبة دافقة ومصابرة للأعداء ، فلا ينفد الصبر ، بل تستعمل الحيلة فى المقاومة والصمود ، ولا تضطرب الأعصاب عند الصدمة الأولى وقد قال النبى ﷺ : «إنما الصبر عند الصدمة» (رواه البخارى) وليس الجهاد نزهة أو سياحة ، إنما هو بلاء واختبار ، ولقد قال الله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجنة ولَمَّا يعلَمِ اللَّهُ الَّذينَ جاهَدوا منكُمْ ويعْلَمَ الصَّابرينَ﴾

[آل عمران : ١٤٢]

• وحتى يكون الصبر والعزيمة الصادقة ، يجب على المحارب أن يقدر المشقة قبل أن يقدر الانتصار ، وأن يعرف أنه يذوق البلاء قبل أن يذوق نعمة الانتصار ، وقد قال سبحانه وتعالى للمجاهدين : ﴿لَتبلَوُنَّ فى أَمْوالِكُمْ وأَنفُسِكُمْ ولتسمعُنَّ من الَّذينَ أُوتُوا الكتابَ من قبلكُمْ ومِنَ الَّذينَ أشركوا أَذًى كثيرًا وإن تَصْبِروا وتَتَّقُوا فإنَّ ذلكَ من عَزمِ الأُمُورِ﴾

[آل عمران : ١٨٦]

وقال سبحانه : ﴿يَأَيُّهَا الَّذين آمَنُوا آسْتعينُوا بالصبر والصَّلاةِ إنَّ اللَّهَ مع الصَّابرينَ ، ولا تَقُولُوا لمن يُقْتَلُ فى سَبيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بل أَحيَاءٌ ولَكِن

لا تَشْعُرونَ ، ولنبلُونكُم بشيء من الْخوفِ والجوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنفسِ والثمراتِ وبشّرِ الصّابرينَ ، الّذين إذا أصابتهم مّصيبةٌ قالُوا إنّا لله وإنّا إليه راجعونَ ، أولئكَ عليهِمْ صَلواتٌ من ربِّهِمْ ورحمةٌ وأولئك هُمُ المهْتدونَ﴾

[البقرة : ١٥٣ - ١٥٧]

• وإن الله تعالى كان يربى روح الصبر فى المجاهدين بحملهم على توقع الأذى والبلاء ، حتى إذا نزل بهم لم يكن مفاجئًا لهم ، ولقد قال سبحانه فى ذلك : ﴿أمْ حَسِبتُمْ أن تدخُلُوا الجنةَ ولمّا يأتِكُم مّثلُ الذينَ خَلَوْا من قبلكُم مَستْهمُ البأساءُ والضّراءُ وزُلْزِلُوا حتى يقولَ الرسولُ والذينَ آمَنُوا معهُ متى نصرُ اللّهِ ألا إنّ نَصْرَ اللّهِ قريبٌ﴾

[البقرة : ٢١٤]

• وإن توقع الشدة يسهل احتمالها ، ويجب على الذين يتقدمون للحروب أن يدرعوا دائمًا بالصبر والإيمان ، فإن الصبر يكون معه النصر ، والإيمان يشد العزيمة ، ويقوى الاحتمال ، فلا يتخذ القتال هزوًا ولعبًا ، ولا يفهم أنه مادامت معه الأسلحة فإن النصر معه ، لأن الأسلحة مهما يكن فتكها قد تتحطم فى يد من لا يستطيع حملها ، أما الإيمان فهو القوة الدائمة التى تدفع إلى العمل ولا تمل ولا تتحطم ، ولا يمكن أن تنالها أيدى الأعداء ، وهو الذى يجدد الأسلحة ، والأسلحة وحدها لا تجدد القلوب ولا تدفع الوهن .

• وتوضح المدرسة الإسلامية للمقاتل ناحية هامة فى مجال تحمل المشاق فى المعركة فهى توضح له أنه إذا اشتد القتال فلا يصح أن يتصور أنه هو وحده الذى يعانى من شدته ، بل عليه أن يعلم أن عدوه أيضًا يعانى ، وأن الصمود والثبات إلى النهاية هو السبيل إلى النصر ، قال تعالى : ﴿إن تكونُوا تألمونَ فإنَّهُمْ يألمونَ كما تألمونَ وترْجُونَ من اللَّهِ ما لايَرْجُونَ وكان اللَّهُ عليمًا حكيمًا﴾

[النساء : ١٠٤]

• وحتى فى حالة عدم الحصول على النصر الكامل فإن الإسلام لا يقر الانهيار فى الروح المعنوية أو إرادة القتال ، بل يدعو المجاهدين إلى طرح الحزن واستعادة قوتهم والإبقاء على بطولتهم وشجاعتهم والمحافظة على روحهم المعنوية ، قال تعالى ﴿ولا تهِنُوا ولا تحزنُوا وأنتمُ الأعْلَوْنَ إن كنتم مُّؤمنينَ ، إن يَمْسَسْكم قرحٌ فقد مَسَّ القومَ قَرْحٌ مثلُهُ وتلكَ الأيامُ نداولُهَا بين النَّاسِ وليعلَمَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا ويتخِذَ منكمْ شُهداءَ واللَّهُ لا يُحبُّ الظَّالمين ، وليمحِّصَ اللَّهُ الذِينَ آمَنُوا ويَمحقَ الكَافِرينَ﴾

[آل عمران : ١٣٩ - ١٤١]

• ولقد امتحن المسلمون وامتحن الرسول القائد ﷺ ، فكانوا بإيمانهم أقوى من الأحداث التى واجهتهم ، قال تعالى : ﴿فَمَا وهَنُوا لِما أصَابهُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ وما ضَعُفوا وما استكَانُوا﴾

[آل عمران : ١٤٦]

١٨ – التحكم فى درجة التذبذب العاطفى :

• الحرب من طبيعتها احتمال النجاح والفشل ، والمطلوب من المقاتل – باعتباره إنسانًا له عواطف تجعله يفرح للنجاح ويحزن للفشل – أن يتحكم فى مدى تأثره العاطفى بمعنى أنه لو تم له النجاح فلا يصح أن يذهب به فرحه إلى درجة التهور أو الاستكانة السلبية أو التغفلة وترك الحذر ، وإذا فشل فى معركة فلا يصح أن يذهب به حزنه إلى درجة الانهيار المعنوى ، أى أنه مطلوب منه أن تكون مسافة التأرجح أو التذبذب العاطفى بين حالتى الفرح والحزن قصيرة بقدر الإمكان لأن هذه المسافة كلما قصرت كلما منحت المقاتل قدرة أكبر على الصمود فى المعركة الممتدة فيظل محتفظًا بثباته وقدرته القتالية فى جميع الأحوال حتى النهاية ، وهذا من مقومات النصر .

• ذلك بالضبط هو ما تعلمه المدرسة الإسلامية للمقاتل المؤمن ، الشر الذى يصيب المؤمن لا يحمله على اليأس ، والخير الذى يناله لا يحمله على البطر ، بل إن المؤمن ينتفع بما يصيبه من خير أو شر : يتلقى الخير بالشكر ليزيده الله خيرًا ، ويتلقى الشر بالصبر ليزيده أجرًا ، وهو فى كلا الحالين كما يقول النبى ﷺ : «عجبًا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (رواه مسلم) .

١٩ – النصر أو الشهادة :

• وقد جعلت المدرسة الإسلامية شعار المجاهدين الصادقين فى قتال الأعداء : «النصر أو الشهادة» يقول سبحانه وتعالى : ﴿فَلْيُقَاتِلْ فى سَبِيلِ اللَّهِ الذين يَشْرُونَ الحياةَ الدُّنيا بالآخِرةِ ومَن يُقَاتِلْ فى سَبِيلِ اللَّهِ فيُقْتَلْ أو يَغْلِبْ فسوفَ نُؤْتِيه أجرًا عَظِيمًا﴾

[النساء : ٧٤]

• والمتأمل فى المقابلة بين يقتل (بضم الياء) ويغلب (بفتح الياء) قد يتساءل : لماذا لم يقل المولى جلت حكمته : فيغلب (بفتح الياء) أو يغلب (بضم الياء) ؟ لأن المقاتل إما أن يكون غالبًا أو مغلوبًا ؟.. ويمكن الإجابة على ذلك بأن المجاهد المؤمن لا يغلب أبدًا (أى لا يقهر) وذلك لأنه ينتظر إحدى الحسنيين ، ولا ثالث لهما فيما يقدره من نتائج ، لأنه فائز فى كل من النصر أو الشهادة غير مغلوب .